وفي العشرين من ذي الحجة سنة (١٢٦) هجري مات يزيد بن الوليد وقيل إن أخاه ابراهيم سمّه، ودفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير[١].

وبويع لأخيه ابراهيم بيعة لم تأت بطائل، فكان الناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالإمارة وناس لا يسلمون عليه بواحدة منهم ولم يلبث مروان بن محمد أن سار إليه وخلعه ولم يمكث في الخلافة سوى شهرين حيث بويع لمروان في شهر صفر سنة (١٢٧) هجري [٢].

هذا هو الوضع السياسي الذي عاشه الامام الصادق (عليه السلام) وكيف كان ملبداً بغيوم كثيفة لا تنتهي حتى سقطت الدولة الاموية، ولنأتي على الجانب الثاني الذي يُعد من أبرز ملامح عصر الامام (عليه السلام) وهو :

٢. **الوضع الفكري:**

إن الظواهر الفكرية والعقائدية السائدة في عصر الامام الصادق (عليه السلام) مثل: الزندقة و، الغلو، والاعتزال، والجبر ، والرأي، وما نتج عنها من ظهور صيغ جديدة لفهم الرسالة الاسلامية لم تكن وليدة الظرف الذي عاصره وإنما يعود وجودها الى ذلك المنهج الذي خطّهُ الامويون ومن سبقهم من الخلفاء الذين اجتنبوا منهج أهل البيت طيلة عشرة عقود فعكس للأجيال صورة مزيفة عن الدين حيث أصبح المسلمون لا يرون إلا الصورة المقيتة عن الدين، لهذا كانت الزندقة ردّة فعل لهذا الانحراف بعد تلاعب الحكّام بالدين وقد لقيت رواجاً في هذا الوسط الديني المليء بالمفاهيم الخاطئة.

أما أبرز الاتجاهات الفكرية فهي:

١. **الجبر:**

استخدمه بنو امية تثبيتاً لسلطانهم وروّجوا لعقيدة الجبر التي تعني ((نفي العقل حقيقة عن العبد وإضافته الى الرب تعالى فكل ما يصدر من العبد من خير أو شر ينسب الى الله سبحانه وأن الانسان مسير وغير مَخير بل نسير بإرادة الله ومشيئته فإذا أشار أن أصلي صلينا وإذا شاء أن نشبر الخمر شربنا))، واستدلوا بآيات قرآنية منها قوله تعالى: { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ } سورة الإنسان/٣٠، وقوله تعالى: { فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } سورة الأنعام/١٢٥ [٣].

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٤٠.

(٣) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٣٨.

وبهذه العقيدة يكون الانسان مسلوب الإرادة يسمح لنفسه بارتكاب الجرائم والمعاصي واقتراف الذنوب والكبائر لأن الله سبحانه وحاشاه أمره بذلك، وبهذا لا يكون للإنسان كسب ولا إرادة ولا اختيار ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل فكيف يطمع في ثواب أو خوف من عقاب.

٢. الزندقة:

لا نستغرب من نشوء هذه الفكرة الالحادية في عالم التوحيد الخالص فإن الظلم والفساد الذي اشاعه الامويين في كل ميادين الحياة كان السبب في ظهور هذه الافكار المناقضة للفكر الاسلامي كان على المسلمين في الفكر الذي تبناه طواغيت بني امية ومن بعدهم قراعنة بني العباس إن مناقشة تصرفات الحاكم ذنب لا يغتفر وعلى الانسان أن يسمع ولا يفكّر، لهذا عندما عمّ الفساد ميادين الفكر والسلوك شجع ذلك ظهور الفكر الالحادي كرفض للواقع الفاسد.

لهذا نشاهد رأس الزنادقة في وقته (أبن أبي العوجاء) يعقد حلقاته الفكرية لغرض التشكيك في التوحيد في مسجد الرسول إذ كان ينكر أصل الوجود، أما (الجعد بن درهم) فكان ممعناً في الفكر ومبتدعاً ومتفانياً في الزندقة وكان معين الالحاد [1].

وللامام الصادق (عليه السلام) مناظرات طويلة وعجيبة أستدل بها على وجود الخالق وكيفية عبادته واثبات بعث الانبياء والرسل والاستدلال بذلك ومسائل كثيرة أخرى مبثوثة في الكتب، ونورد ما يأتي شاهد على ذلك: سأله ذات يوم أبو شاكر الديصاني أحد أقطاب حركة الكفر والالحاد: ما الدليل على أن لك صانعاً؟ فأجاب (عليه السلام) :((إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها فلا أخلو من احد معنيين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإما كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو رب العالمين)) [2].

٣. الغلو:

تعتبر حركة الغلاة من اخطر الحركات هدماً وضرراً للمجتمع الاسلامي لأنها حركة سياسية استهدفت ضرب الاسلام من الداخل، والعجيب من هذه الحركة أنها ظهرت على المسرح السياسي ثم اختفت بسرعة، ولقد حاصرها الامام الصادق (عليه السلام) وأدرك خطورتها فأعلن البراءة منها ومن مبادئها ولعن دعاتها كأبي الخطاب، وبشار الشعيري والمغيرة بن سعيد وغيرهم.

(١) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٢٠١.

(٢) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٥٨.

وتعتبر هذه الحركة خطرة جداً لانها انتشرت في الكوفة قاعدة التجمع العلوي ومحبي أهل البيت وتشويه هذه القاعدة الواعية وضرب اتباع أهل البيت في هذا الطريق، وكان من أبرز دعاتها أبي الخطاب [1].

اما اعتقاد الغلاة: فإنهم يعتقدون أن الظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمرٌ لا ينكره عاقل اما في جانب الخير كظهور جبرائيل(عليه السلام) ببعض الاشخاص أو التصور بصورة أعرابي والتمثل بصورة البشر، أو في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه، وكذلك يقال أن الله سبحانه وتعالى ظهر بصورة أشخاص ولا يوجد شخص أفضل من علي بن أبي طالب (ع) بعد الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) لهذا ظهر الحق تبارك وتعالى بصورتهم ونطق بلسانهم لهذا سمّوا هذه الجماعة اسم الإلهية!!.

ثمّ زعم أبو الخطاب إن الائمة أنبياء ثم آلهة وقال بالاهية جعفر الصادق وآبائه الكرام (عليهم السلام) وهم أبناء الله وأحباؤه، وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه!! وليس هو المحسوس الذي يردنه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها!![2]

ولقد وقف الامام الصادق (عليه السلام) من هذه الحركة أو هذا التيار موقفاً حازماً وصارماً فقال لأحد أصحابه سدير الصيرفي: ((يا سدير سمعي وبصري وشعري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم إلا وهو عليهم ساخط)). [3]

وذُكر يوماً أبا الخطاب أمامه فقال (عليه السلام): ((على أبي الخطاب لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، وأنه يُحشر مع فرعون في أشد العذاب غدوّاً وعشياً)).[4]

وكان موقف الإمام صلباً امام هذه الطائفة الخطيرة على الاسلام وما كان ليستريح حتى أحبط مؤامرتها وما ضمنته من حقد يهودي ونصراني ولو كان تراخي وفتر عنها لحظة لكانت تقصم ظهر الاسلام، وقال الامام (عليه السلام) لرازم: ((قل للغالية توبوا الى الله فإنكم فُسّاق كفار مشركون)).[5]

---

(١) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٢٠٣.

(٢) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٤٨-٥٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٢.

(٥) المصدر نفسه ، ص٥٢.

٤. الاعتزال:

حينما تطرّف الخوارج والمرجئة في حكم مرتكب الكبيرة بعد تعارض الحديث والتفسير مع العقل، ومن ثم عجزت الثقافة التي جمدت على ظواهر الحديث والقرآن من الاجابة على الاسئلة التي فرضتها حالة الانفتاح على الحضارات الاخرى، من هنا تبلورت أفكار المعتزلة وعندما كثُرت الاستفهامات التي كانت تثيرها الحركات الالحادية في ذلك العصر ظهرت فكرة الاعتزال على يد عمرو ابن عبيد وواصل بن عطاء اللذين كانا تلميذين للحسن البصري التي رفضت الاعتماد على الحديث بشكلٍ مطلق وهاجمت أهل الحديث لتعطيلهم العقل وتكفيرهم كل من يبحث ويناقش. وانتشرت فكرة الاعتزال وزاد عدد معتقيها برعاية ودعم النظام الحاكم لسبب واحد هو :أقرّ المعتزلة بأن الإمامة والخلافة تتم للمفضول ويجوز تقديمه على الفاضل وبهذا استدلوا على شرعية خلافة الامويين ومن بعدهم العباسيين، لذلك نالوا التأييد المطلق من قبل الامويين وبذلك عملوا على إزالة فكرة تقديس الامام علي (عليه السلام) التي كانت شائعة عند جمهور الناس.

أما علاقتهم بالشيعة كانت في غاية الخصومة لأن الشيعة ترى الاعتزال فكرة طارئة على الاسلام وإن مسألة تقديم المفضول على الفاضل معناه الخروج على منطلق الحق وإماتة المواهب والقدرات وهذا ما يعارض القرآن الكريم الذي يقول: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} سورة الزمر/٩.

وكان للامام الصادق (عليه السلام) مناظرات ومناقشات مع أصحاب التيارات التي تتبنى المناهج الفقهية التي تتنافى مع روح التشريع الاسلامي والتي تأخذ من الرأي والقياس والاستحسان قاعدة لها وتكمن خطورتها في كونها تعرّض الدين الى المحق الداخلي والتغيير في محتواه لذلك أكد (عليه السلام) على النهي عن العمل بها فقال: ((إن السُنة إذا قيست محُق الدين)).[١]

وللإمام الصادق نشاط واسع لإثبات بطلان هذه المناهج وبيان عدم شرعيتها وله مناظرات كثيرة مع رؤوس أصحابها الذين لم يحروا جواباً أمامه ولا استطاعة الدفاع عمّا يؤمنون به بحضرته مثل أبن أبي ليلى القاضي الرسمي للدولة الاموية الذي قابل الامام ذات يوم فقال له الامام(عليه السلام): ((تأخذ مال هنا فتعطيه هذا وتفرّق بين المرء و زوجه ولا تخاف في هذا أحداً)) قال: نعم، قال:(بأي شيء تقضي؟) قال: بما بلغني عن رسول الله محمد (ص) وعن أبي بكر وعمر، قال: فبلغك أن رسول الله قال:(أقضاكم علي بعدي) قال: نعم، قال:(كيف تقضي بغير قضاء علي، وقد بلغك هذا؟!) وهكذا عرف أبن أبي ليلى أنه قد جانب الحق فيما حكم وأفتى به.[٢]

(١) الطبرسي ، أعلام الورى ، ج٢، ص٥٨.

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨٢.